الصفات الخبرية
عند أشهر علماء التفسير والفرق الكلامية

أعـــداد

د/ ماهـــر عيـــد علـــى

مدرس بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب بقنـــا - جامعة جنوب الوادي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد ـ

فإن الله عزّ وجلّ ـ اتصف بصفات الكمال والجمال والجلال ، فاتصف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والمخالفة للحوادث ، وكلها صفات كمال تليق بذاته المقدسة ، وقد جاء في القرآن الكريم صفات خبرية تفيد أن الله استوي على عرشه ، وأن له وجهاً وعيناً ويداً ومجيئاً ونزولاً ، وأن المؤمنين يرونه يوم القيامة .

وكان منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم واضحاً وهو الإيمان بهذه الصفات كما جاءت في القرآن والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل . ودليلهم قوله تعالى: **"ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"** [1] وقال نعيم بن حماد " من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه . قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شئ من خلقه وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا "[2]

ونقوم بمشيئة الله وعونه بدراسة الصفات الخبرية عند علماء التفسير والفرق الكلامية الأخرى . فنوضح آراء العلماء في صفة الاستواء ، والوجه والعين واليد ، والمجيئ والنزول والمعية ورؤية المؤمنين ربهم في يوم القيامة. ونورد توضيح ذلك فيما يلي:-

<u>الاستواء على العرش :-</u>

يطلق الاستواء في اللغة على عدة دلائل بمعنى اعتدل تقول سوى الرجل سوى . استقام . وسوى الشيء : قومه وعدله . استوى : استقام واعتدل . استوى . ملك . واستوى . أقبل تقول العرب : استوي إليّ يخاصمني : أقبل إليّ [3]

أما مفهوم الاستواء عند العلماء :

فعرفه الإمام علي .- كرم الله وجهه- فقال : الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [4] وقالت أم سلمة -رضى الله عنها- : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الإيمان والجحود به كفر. وجاء

---

(١) سورة الشورى آية (١١)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى صـ ١١٧ - ١١٨ طـ ١٩٨٨ المكتب الاسلامى .

(٣) لسان العرب :جمال الدين ابن منظور جـ ١٤ / ٤١٤ طـ دار الفكر ، القاموس المحيط صـ ١٢٧ طـ الريان ١٩٨٧ المعجم الوجيز ص ٣٣٠ طـ ١٩٩٩ .

(٤) تفسير النسفى مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن احمد بن محمود النسفى جـ ٢ / ٥٤ ،٥٥ طـ دار الكتب العلمية .

رجل إلى الإمام مالك بن أنس فقال : يـــا أبـــا عبـــد الله " **الرحمن على العرش استوى**" . كيف استوى ؟ فقال الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [١]

وإذا ألقينا الضوء على آراء علمـــاء التفســـير والعقيـــدة عنـــد تفســـير قولـــه تعـــالى: "**الرحمن على العرش استوى**"[٢] نجـــد أنـــهم اختلفوا في معنى الاستواء إلـــى عـــدة آراء.

الـــرأى الأول:-

ذهب البعض من علماء التفسير إلى وجوب الإيمان بالاســـتواء وتفويض حقيقته إلى الله - عز وجل- فنرى الإمام ابن الجوزى يقـــول: " أجمع السلف على ألا يزيدوا على قراءة الآية[٣].

ويقول الشيخ محمد على الصابوني : الرحمن : اســـتوى علـــى عرشه استواء يليق بجلاله من غير تجسيم ولا تشـــبيه ولا تعطيـــل ولا تمثيل [٤]

ويقول الإمام النسفي : والمذهب قول علـــى رضـــي الله عنـــه الاستواء غيـــر مجهول والتكييف غير معقـــول والإيمـــان بـــه واجـــب والسؤال عنه بدعة . [٥]

الرأى الثانى : ذهب إلى التأويل : فمنهم مـــن أول الاســـتواء بالاستيلاء وإلى هذا ذهب علماء المعتزلة وبعض الاشاعرة والمـــاتريدى والجهمية فيقول الإمام الزمخشرى وهو معتزلي عند تفسير قوله تعـــالى: " **الرحمن على العرش استوى** " لما كان الاستواء علـــى العـــرش وهـــو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا: " اســـتوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة : وقـــالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشـــرح وأبسط وأدل على صورة الأمر [٦]

وتفسير الاستواء بالاستيلاء مردود عند بعض أهل السنة مـــن عدة وجوه .

---

[١] أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى جـ٢ ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

[٢] سورة طه آية ١١٥

[٣] زاد المسير فى علم التفسير للامام ابى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بـــن محمد الجوزى القرشى البغدادى جـــ ٣ /٢١٢ - ٢١٣ طـــ ١٩٩٤ المكتب الاسلامى

[٤] صفوة التفاسير لمحمد بن على الصابونى جـــ ٢ /٢٣٠ - دار الصابونى

[٥] تفسير النسفى جـــ ٢ ٥٤ - ٥٥

[٦] تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل لأبـــى القاســـم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى جـــ ٢ / ٥٣٠ طـــ دار المعرفة

الوجه الأول:- ان الاستيلاء معناه الغلبة بعد العجز وذلك محال فى حق الله تعالى.

الوجه الثانى: إنما يقال فلان استوى على كذا إذا كان له منازع ينازعه وكان المستولى عليه موجوداً قبل ذلك. وهذا فى حق الله تعالى محال.

الوجه الثالث: أن الاستيلاء حاصل على كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة [1] وقد أول الإمام الرازى الاستواء بالاقتدار [2]

وهناك رأى باطل يقول " إن الله -عز وجل- مماس للعرش وهؤلاء هم المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه [3]

والرأى الراجح فى هذه المسألة ما ذهب إليه السلف الصالح من وجوب الإيمان بصفة الاستواء بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل . وهذا ما ذهب إليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين . رضوان الله عليهم .

الوجـــــه

ورد ذكر وجه الله - تبارك وتعالى- فى عدة آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : فى شأن التوجه إلى القبلة فى أداء الصلاة "**فأينما تولوا فثم وجه الله**"[4]

وقوله تعالى " كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون"[5]

وقوله تعالى "**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**"[6] .

وانقسم علماء التفسير فى معنى الوجه على ثلاثة آراء :-

الرأى الأول:- يرى أن الوجه معناه معلوم ولكن كيفيته مجهولة ، ولا نعلم كيف وجهه - عز وجل- كسائر صفاته ولكننا نؤمن بأن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور [7]

---

(1) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب جـ ٢٢ / ٧ طـ الأولى - دار الفكر العربى

(2) المرجع السابق جـ ٢٢ / ٧ ، التفسير الكبير للإمام تقى الدين ابن تيمية جـ٦ / ١٠٩ ، ١١٠ طـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(3) الملل والنحل لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى جـ١/١١٧ المكتبة التوفيقية .

(4) سورة البقرة آية (١١٥)

(5) سورة القصص (آية ٨٨)

(6) سورة الرحمن (آية٢٧)

(7) شرح العقيدة الوسطية لمحمد بن صالح العثيمين ص ١٧٤ ط دار الدعوة .

وهذا منهج السلف الصالح وكانوا يقولون إن البشر لا يعلمون لله حداً وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته . وقال أبو داود الطيالسى: كان سفيان الثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ، لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون ويروون الحديث ولا يقولون كيف؟ وقال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله - له يد ووجه ونفس كما ذكر تعالى فى القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس ، فهو صفة بلا كيف ، ولا يقال : إن يده قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة.[1]

كما أن السلف الصالح توقفوا عن التأويل وقالوا : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى: " ليس كمثله شئ" ، فلا يشبهه شئ من المخلوقات ولا يشبه شيئاً منها ، وقطعنا بذلك إلاّ أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالى : " **الرحمن على العرش استوى**"[2] **خلقت بيدي** [3] **وجاء ربك**"[4] فلسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شئ وقد أثبتناه يقينا.[5]

الرأى الثانى : يرى أن المراد من وجه الله تعالى ذاته وإلى هذا ذهب بعض جمهور المفسرين فيقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى: **"كل شئ هالك إلا وجهه "** إن المراد من الوجه ذاته" [6]

ويقول الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى :- " إن كل الذوات فانية وزائلة إلاّ ذاته تعالى ،فإنه الأول والآخر الذى قبل كل شئ وبعد كل شئ "[7]

ويقول الإمام النسفى : إن المراد من الوجه ذاته "[8]

الرأى الثالث المشبهة قالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض ، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن "[9] - ولا نقول أمام هذا الخطأ الظاهر والواضح إلا قوله

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٨ - ٢١٩
[2] سورة طه آيه (٥)
[3] سور ص آية (٧٥)
[4] سورة الفجر آيه (٢٢)
[5] الملل والنحل جـ١ /١٠٤
[6] تفسير الكشاف جـ٤ /٤٦
[7] تفسير ابن كثير جـ٣/٣٨٩
[8] تفسير النسفى جـ٢ / ٦٣٠ ، صفوة التفاسير جـ ٣/٢٩٦
[9] الملل والنحل جـ ١ / ١١٧

سبحانه وتعالى : " سبحان ربك رب العزة عما يصفون* [1] واختلف المفسرون فى تفسير قوله تعالى : " فأينما تولوا فثم وجه الله. [2]

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد من وجه الله هنا أى جهته التى أمر بها ورضيها . والمعنى : أنكم إذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام وفى بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها ، وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان ، لا يختص إمكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان. [3]

وقال ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت ، وقال عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا فى أنحاء مختلفة ، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا . وقال ابن عباس قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً "[4] وقال بعض العلماء أن المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقى. والمراد إلى أى جهة تتوجهون ، فثم وجه الله سبحانه وتعالى ، لأن الله محيط بكل شئ . وهذا الوجه العظيم الموصوف بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً ولا تصوراً " [5].

واستدل أنصار هذا الرأى ، أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة عن أنس أن النبى - صلى الله عليه وسلم - رأى نخامة فى القبلة فشق ذلك عليه -صلى الله عليه وسلم - حتى رؤى فى وجهه ، فقام فحكه بيده . فقال إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يناجى ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه ، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم ردّ بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا"[6]

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بصاقاً فى جدارة القبلة محكه ثم أقبل على الناس فقال : إذا كان أحدكم يصلى فى يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى.

وقال الخطابى : معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد إلى ربه فصار فى التقدير : فإن مقصوده بينه وبين قبلته " وقيل هو على حذف مضاف أى عظمة الله أو ثواب الله .وقال ابن عبد البر : هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة "[7]

---

[1] الصافات آية (١٨٠-١٨٢)

[2] سورة البقرة آية (١١٥)

[3] الكشاف للزمخشرى جـ١ /٣٠٧ ، النسفى جـ ٧٧/١

[4] تفسير ابن كثير جـ٧٧/١ ، صفوة التفاسير محمد على الصابونى جـ٨٩/١

[5] شرح العقيدة الوسطية محمد بن صالح العثيمين ص ١٧٧ - ١٧٨

[6] فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ،كتاب الصلاة، باب حك البزاق من المسجد جـ٦٦/٣

[7] المرجع السابق جـ ٣ / ٦٦

والرأى الراجح أننا نؤمن بما أثبته الله - عز وجل- فى كتابه من الصفات بلا كيفية ولا تمثيل ولا تأويل ويكون نصب أعيننا قوله تعالى :" **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**"[١]

العين

وردت صفة العين فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : " **واصنع الفلك بأعيننا**" [٢]. وقوله تعالى : "**ولتصنع على عينى**"[٣] وقوله تعالى : "**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**"[٤] وقوله تعالى : " **تجرى بأعيننا** " [٥]

وانقسم علماء التفسير فى معنى العين إلى ثلاثة آراء :-

الرأى الأول : وهو رأى أهل السنة والجماعة فيرون إثبات صفة العين كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل.[٦]

الرأى الثانى: يرى جمهور المفسرين أن المراد من العين الرؤيا وإلى هذا ذهب ابن كثير والنسفى والزمخشرى والرازى . فيقول الإمام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : " تجرى باعيننا " أى برأى منا وتحت حفظنا" [٧]

ويقول الإمام النسفى: "**برأى منا أو بحفظنا**" [٨]ويقول الإمام الطبرى عند تفسير قوله تعالى :" **فإنك بأعيننا** " يقول جل ثناؤه فإنك برأى منا نراك ونرى عملك ونحن نحوطك ونحفظك فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين [٩]

---

[١] سورة الشورى آيه (١١)
[٢] سورة هود آيه (٣٧)
[٣] سورة طه آية (٣٩)
[٤] سورة الطور آيه(٤٨)
[٥] سورة القمر آيه(١٤)
[٦] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى جـ٢ / ٤١٢
[٧] تفسير ابن كثير جـ٤/ ٢٦٦
[٨] تفسير النسفى جـ٢/٦٢٢ ، الفخر الرازى جـ٢٧/٢٧٤
[٩] تفسير جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى جـ٢٧/٢، دار المعرفة .

ويقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى : " **ولتصنع على عينى**" أي تربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به . كما تقول للصانع اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتى .[1]

الرأي الثالث :- رأى المشبهة الذين شبهوا صفاته- عزَ وجلَ - بصفات خلقه . فقالوا : إن عينه كسائر الأعين . واستدلوا على ذلك بما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة . عن عبد الله قال : ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله لا يخفى عليكم وإن الله ليس بأعور ،وأشار بيده إلى عينه . وإن المسيح أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية "[2]

وقال قتادة : سمعت أنساً - رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه سلم قال : ما بعث الله من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر [3]

ورد على المشبهة باستحالة الجسمية عليه سبحانه وتعالى لأن الجسم حادث وهو قديم فدل على أن المراد نفى النقص عنه.

وقال ابن المنير وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله :" إن الله ليس بأعور من جهة أن العور عرفاً عدم العين وضد العور ثبوت العين فلما نزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها وهو وجود العين .وهذا على سبيل التمثيل والتقريب للفهم لا على معنى إثبات الجارحة[4]

والراجح ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة العين لله – عز وجل- .كما أثبتها الله تعالى فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - بلا تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل وهذا أسلم الآراء وأصوبها .

اليـــــــد

ورد ذكر اليد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة . فقد جاءت مفردة ومثنى وجمعاً فجاءت مفردة فى قوله تعالى :"**قل إن الفضل بيد الله** " [5]وقوله تعالى : "**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**[6] . وقوله تعالى : "**والسماء بنيناها بأيد وإنا**

---

(١) الكشاف للزمخشرى جـ٢/٥٣٦ ، ٥٣٧

(٢) أخرجه البخارى ٩٧ كتاب التوحيد ، ٧ باب قوله تعالى : "

(٣) ولتصنع على عينى " جـ١٣ ،٣٨٩

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى جـ١٣/٣٩٠

(٥) سورة آل عمران آيه (٧٣)

(٦) سورة الفتح آية (١٠)

لموسعون"[1] وجاءت مفردة مثنى فى قوله تعالى : "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"[2]

وجاءت اليد جمعاً في قوله تعالى : "أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً "[3]

وانقسم العلماء فى تفسير اليد إلى ثلاثة آراء :-

الرأى الأول : يرى أهل السنة والجماعة إثبات صفة اليد لله تبارك وتعالى وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يجسدون فيه صفة محصورة . وقال القاضى أبو يعلى: لا تجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها"[4]

الرأى الثانى : وهو رأى المشبهة فقد ذهبوا إلى أن يد الله عبارة عن عضو جسمانى كما فى حق كل واحد . وظنوا أن اتفاق الصفات فى الأسماء يستلزم اتفاقها فى المسميات وهذا ظن ضال" [5]

واحتجوا على رأيهم الباطل بقوله تعالى : "ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها "[6] . ووجه استدلالهم بهذه الآية : أن الله -عز وجل - قدح فى إلهية الأصنام لأجل أنها ليس لها شئ من هذه الأعضاء ، فلو لم تحصل لله هذه الأعضاء لزم القدح فى كونه إلها ، ولما بطل ذلك وجب إثبات هذه الأعضاء له .[7]

ومن المشبهة من ذهب إلى أبعد من ذلك فأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض "[8]

---

(1) سورة الذاريات آية (٤٧)
(2) سورة المائدة آيه (٦٤)
(3) سورة يس آيه (٨٣)
(4) القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى،محمد بن صالح العثيمين ص ٤٥ طـ١٩٩٩ مكتبة العلم
(5) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٢ / ٤١٢
(6) سورة الأعراف آية (١٩٠)
(7) تفسير الفخر الرازى جـ١٢/٤٥
(8) الملل والنحل جـ١/ ١١٨

إن هذا القول يوصف صاحبه بالكفر الواضح . وهذا الكلام لا يصدر ممن لدية مثقال حبة من خردل من عقل ، فمن أين أتوا بهذه الأوصاف الفاضحة ؟ ولا يسعنا إلاّ أن نقول أمام هؤلاء الذين شبهوا الله بخلقه قوله تعالى : **"ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"**[1]

الرأى الثالث : قالت المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والجهمية بتأويل " اليد " بلفظ يتناسب مع جلال الله وعظمته فأولوها بالقدرة تارة وبالقوة تارة أخرى وبالنعمة ثالثة .

وذهب علماء التفسير إلى القول بالتأويل حسب موقع اليد من الآية فنجد الإمام ابن كثير يقول عند تفسير قوله تعالى : **"والسماء بنيناها بأيد"**[2]

أى بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد. [3]

ويقول الإمام النسفى أن المراد " بأيد " أى بقوة والأيد القوة "[4]

واختلف علماء التفسير عند قوله تعالى : **"بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"**[5] فقال الزجاج : ذهب قوم إلى أن معنى "يد الله" نعمته . وهذا خطأ ينقضه قوله تعالى :**"بل يداه مبسوطتان "** فيكون المعنى على قولهم : نعمتاه ،ونعم الله أكثر من أن تحص . والمراد بقوله **"بل يداه مبسوطتان** .أنه جواد ينفق كيف يشاء وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنبا رى . وقال ابن عباس :إن شاء وسع فى الرزق وأن شاء قتر" [6]

وقال الإمام الرازى : في سبب نزول الآية الكريمة أنها نزلت فى اليهود وكانوا أكثر مالاً وثروة ، فلما بعث الله محمداً كذبوا به فضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالت اليهود " يد الله مغلولة . أى مقبوضة عن العطاء فنزلت الآية تكذب ما قاله اليهود وتثبت أن الله جواد كريم ، فغل اليد وبسطها مجاز مشهور عن البخل والجود"[7]

ويؤيد ذلك الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال " يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ

---

(١) سورة الشورى آية (١١)
(٢) سورة الذاريات آية (٤٧)
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ /٢٣٩
(٤) تفسير النسفى جـ ٢ / ٦٠٤
(٥) سورة المائدة آية (٦٤)
(٦) تفسير زاد المسير فى علم التفسير جـ ٢ / ٣٩٤
(٧) تفسير الفخرالرازى جـ١٢ / ٤٣-٤٤ الكشاف للزمخشرى جـ٤ /٦٢٧

خلق السماوات والأرض ؟ فإنه لم ينقص ما فى يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض"[1]
والراجح ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وهو منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – من وجوب الإيمان بهذه الصفات من غير تأويل ولا تجسيم ولا تحديد ولا تمثيل .

المجيء والنزول

جاء في القرآن الكريم آيات تثبت صفة الإتيان والمجيء مثل قوله تعالى : "**هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام**"[2] وقوله تعالى : "**وجاء ربك والملك صفا صفا**"[3].

وانقسم العلماء في مفهوم النزول والمجيء إلى ثلاثة آراء :-

الرأى الأول : ذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات كل ما جاء فى القرآن الكريم من فوقية وتحتية واستواء على العرش ، ووجه ويد ومحبه وبغض من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل . وهذا مذهب السلف الصالح" [4]

الرأى الثانى :- وهو رأى المشبهة : فقد شبهوا نزول المولى -عز وجل - بنزول خلقه مبالغة فى الإثبات وهذا انحراف فى التنزيه"[5]

الرأى الثالث:- ذهب بعض جمهور المفسرين إلى تأويل الآيات تأويلاً يتناسب مع جلال الله - عزّ وجلّ – وعظمته . وإلى هذا ذهب الإمام النسفى والزمخشرى والرازي . فيقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى : "**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**". هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه ، فإن واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه "[6]
وقال ابن عباس - رضى الله عنه-أن المراد من المجيء أمره وقضاؤه .
وقال القاضى أبو يعلي : أن المراد من المجيء قدرته وأمره"[7]
وممن قالوا بتأويل الآيات وصرفها من المعنى الحقيقى إلى المعنى اللغوى الماتريدى والإمام الغزالى . وهذا ما رجحه الإمام محمد أبو

---

[1] أخرجه البخارى .انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٩٧ كتاب التوحيد ٢٢ (باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ، جـ١٣/٤٠٣
[2] سورة البقرة آية (٢١٠)
[3] سورة الفجر آية (٢٢)
[4] تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة ص ١٩٦ طـ دار الفكر العربى
[5] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٢/٤١٢
[6] تفسير النسفى جـ٢ /٨٠٥ ، تفسير الزمخشرى جـ٤ /٢٥٣
[7] زاد المسير فى علم التفسير جـ١/٢٢٥

زهره فنراه يقول :" إن الصحابة كانوا يفسرون بالمجاز إن تعذر إطـلاق الحقيقة كما يفسرون بالحقيقة فى ذاتها فيصح أن نفسر اليد بـــالقوة أو النعمة ، ويصح أن نفسر الوجه بالذات والنزول إلى السماء بمعنى قربـه - سبحانه وتعالى - من العباد ، وأن اللغة تتسع لهذه التفسيرات والألفاظ تقبل هذه المعانى.[١]

ومن الأحاديث التى أثبتت نزول المولى -تبارك وتعالى - حديث البخـارى الذى أخرجه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : ينزل ربنا - تبـارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء لدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقـــول : من يدعونى فأستجب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ ومن يستغفرنى فـأغفر له "[٢]وتباينت آراء العلماء فى مفهوم النزول : فمنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريقة الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف . فى هذا يقول الإمام أحمد بن حنبل : يـنزل كيـف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شئ علماً لا يبلغ قدره واصـــف ولا ينأى عنه هروب هارب.[٣] ومن العلماء ومن أول النزول على وجـه يليق بذاته -سبحانه وتعالى - وهو نزول علمه وقدرته"[٤]

ويرى الإمام الغزالى أن التأويل فى هذا الحديث من وجهين :-

الوجه الأول :- إضافة النزول إلى الله - سبحانه وتعالى - على ســبيل المجـاز وفى الحقيقـة مضـاف إلى ملك من الملائكة . كقوله تعـالى : **"واسأل القرية "** [٥] والمسئول بالحقيقة أهل القرية .

الوجه الثانى :- أن لفظ النزول على سبيل التلطف والرحمة .[٦]

ومن الفرق الكلامية التى أنكـرت صحـة أحـاديث الـنزول المعتزلـة والخوارج. وهذا مكابرة منهم .

والراجح فى فهم أحاديث النزول منهج السلف الصالح وهو الإيمان بـــلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه [٧]

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٨

(٢) أخرجه البخارى .انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١٩ (كتاب التهجد) ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل جـ٣/٢٩

(٣) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى جـ٢/٤٥٣

(٤) إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعى ص١١٧ طـ٢٠٠٢دار البيان العربي .

(٥) سورة يوسف آية (٨٢)

(٦) الاقتصاد فى الاعتقاد لأبى حامد الغزالـى ص ٣٩ -٤٠ طـــ ١٩٨٨ دار الكتب العلمية

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخارى جـ٣/٣٠

المعيـــــــة

ورد إثبات معية الله -عزّ وجلّ - لعباده فى القرآن الكريم والسـنة فقـد جـاءت آيـات كثيرة تبين معية الله تعالى لخلقة نذكر فيها قوله تعالى : **"وهو معكم أينما كنتم "**[1]

وقوله تعالى : **"ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة الاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكل شئ عليم "**[2] فهذه الآيات تتحدث عن المعية العامة للخلق والتى تشملهم جميعاً مؤمنـــهم وكـافرهم إنســهم وجنهم معية علم وإحاطة . وهذا ما أشار إليه جمهور المفسرين فـنرى الإمام ابن كثير يقول عند تفسير قوله تعالى:**"وهو معكم أينما كنتم"** . أى رقيب عليكم وشهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم فى بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار فالجميع فى علمه على السـواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكـم ويـرى مكـانكم ويعلـم سـركم ونجواكم"[3]

ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى : **"وهو معكم أين ما كنتم"** أى بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصاً [4]

كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً آيات تتحدث عن المعية الخاصـة مثـل قوله تعالى : **" لا تحزن إنّ الله معنا "**[5] وقوله تعالى : **"أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"**[6] وقولـه تعـالى : **"واصبروا إنّ الله مـع الصابرين"**[7].

فهذه الآيات الكريمة اعتبرها علماء التفسير بأنها معية خاصة للأنبيـاء والمؤمنين الصالحين . وتكون بمعنى الرعاية والعناية والحفظ والتوفيـق فيقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى : **" لا تحزن إنّ الله معنا "** أى معنا بالنصرة والحفظ "[8] . ويقول الإمام ابن كثير عنـد تفسـير قولـه

---

(1) سورة الحديد آية (٤)
(2) سورة المجادلة آية (٧)
(3) تفسير ابن كثير جـ٤/٣٠٥
(4) تفسير النسفى جـ٢/٦٤٥
(5) سورة التوبة آية (٤٠)
(6) سورة النحل آية (١٢٨)
(7) سورة الأنفال آية (٤٦)
(8) تفسير النسفى جـ٢/٦٤٥ ، تفسير ابن كثير جـ٢/٣٤٣

تعالى : "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "[1] أى بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه . وهذه معية خاصة . ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى : "قال لا تخافا إننى معكما "[2] أى حافظكما وناصركما . أسمع " أقوالكم " وأرى "[3] أفعالكما .

وانقسم علماء العقيدة فى مفهوم معية الله لعباده على ثلاثة آراء:-

الرأي الأول :- وهو مذهب السلف الصالح فيرون إثبات هذه الصفات وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون صفة محدودة . فهذه المعية على حقيقتها لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أى مخلوق لمخلوق كما أن المعية تقتضى الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً. [4]

الرأى الثانى :- ذهبت الحلولية وهم من قدماء الجهمية إلى أن الله بذاته فى كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .[5]

الرأى الثالث :- ذهب الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم إلى أن المعية يجب أن تؤول تأويلاً يليق بذات الله وجلاله وكمال صفاته فأولوها بالعلم والإحاطة والسمع والبصر . وهذا فى شأن المعية العامة . أما المعية الخاصة فيجب أن تأول بالرعاية والعناية والهداية والتوفيق .[6]
وهذا الرأى سلكه علماء التفسير فقد رأيناهم فسروا المعية بالعلم والقدرة والسمع والبصر والإحاطة والعناية .
ومن الأحاديث التى أثبتت صفة المعية ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : النبى صلى الله عليه وسلم . يقول الله تعالى :- أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم"[7]

---

(1) سبق تخريجها .
(2) سورة طه آية (٤٦)
(3) تفسير النسفى جـ٢ /٦١ ، الكشاف للزمخشرى جـ٢/٥٣٧
(4) شرح العقيدة الوسطية محمد بن صالح العثيمين صـ ٢٤٧
(5) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ /١٢٢ ، التفسير الكبير للإمام العلامة تقى الدين ابن تيمية جـ٦/١١٩ دار الكتب العلمية - طـ ١٩٨٨
(6) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة صـ ١٩٩
(7) أخرجه البخاري.انظر :فتح الباري شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ٩٧ (كتاب التوحيد) ٥ باب " ويحذركم الله نفسه " جـ ١٣/٣٨٤ .

فيشير هذا الحديث القدسي إلى ذكر المعية الخاصة بأن الله - عز وجل - يكون قريباً من عبده ، فإذا ذكره العبد في نفسه بالتقديس والتنزيه سراً ، ذكره الله بالثواب والرحمة سراً . فالذكر من أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه ،أو مستوحش أنسه قال تعالى : **"ألا بذكر الله تطمئن القلوب ".**[1] وإذا ذكر العبد ربه في جماعة ذكره الله في الملأ الأعلى . فالحديث الشريف أثبت معية الله لعبده المؤمن الصالح فهي معية هداية ومغفرة ورحمة وعناية .

وتبقى مسألة مهمة يثيرها بعض العلماء وهي أن صفة المعية لا تعارض علو الله - عز وجل - واستوائه على عرشه ، فقد جمع الله - تبارك وتعالى - بينهما في آية واحدة إذ يقول تعالى : **"هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله " تعملون بصير".**[2]

ووجه الجمع من وجوه ثلاثة.

الأول : أنه ذكر استواءه على العرش ثم قال : **"وهو معكم أين ما كنتم"** إذا جمع الله لنفسه بين وصفين فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان ، لأنهما لو تناقضا لاستحال اجتماعهما إذ المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان فلابد من وجود أحدهما وانتفاء الثاني . ولو كان هناك تناقض لزم أن يكون أول الرواية مكذبا لآخرها أو بالعكس.

الثاني : إنه قد يجتمع العلو والمعية في المخلوقات كقول القائل مازلنا نسير والقمر معنا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان . فهذا المثل تقريبا للمعنى وتحقيقا لصحة كون الشئ مع الإنسان حقيقة مع تباعد ما بينهما . وذلك أن القمر من أصغر المخلوقات وهو في السماء مع المسافر وغيره أينما كان ، فإذا كان هذا المخلوق وهو أصغر المخلوقات نقول : إنه معنا ، وهو في السماء . ولا يعد ذلك تناقضا ولا يقتضي اختلاطا فلماذا لا يصح أن نجري آيات المعية على ظاهرها ونقول : هو معنا حقيقة وإن كان هو في السماء فوق كل شئ .

---

[1] سورة الرعد آية (٢٨)
[2] سورة الحديد آية (٤)

الثالث : لو تعذر اجتماعها فى حق المخلوق ، لم يكن متعذراً فى حق الخالق ، لأن الله أعظم وأجل ، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين لظهور التباين بين الخالق والمخلوق[1]

لقوله تعالى : **"ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"** [2]

رؤية المولى - عز وجل - فى الآخرة للمؤمنين

انقسم العلماء في مسألة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة على رأيين :-

الرأي الأول :- يمثله جمهور العلماء من السلف والخلف فقد ذهبوا إلى جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بلا كيفية ولا جهة ولا تمثيل ولا تأويل - وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين واستدلوا على ذلك بالأدلة التالية :-

أولا:- قوله تعالى : **"إلى ربها ناظرة "**[3]

يقول الإمام ابن كثير :- إن ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة أمر مجمع عليه من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام "[4] .

ويقول الإمام الشوكانى فى فتح القدير :" إن المؤمنين ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا " صفة مخلوقة "[5] ويقول الإمام أبو الحسن الأشعرى مبيناً رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة " أن كل موجود يصح أن يرى ، والبارى تعالى موجود فيصح أن يرى بلا جهة ولا مكان ولا صورة ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل انطباع فإن كل ذلك مستحيل "[6] .

ثانياً : استدلوا بقوله تعالى : **"للذين أحسنوا الحسنى وزيادة "**[7]

فالمراد من الزيادة النظر إلى وجهه الكريم . وإلى هذا التفسير ذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن تابعهم بإحسان من أئمة الفقه والحديث أن المراد من الزيادة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى .

---

(١) شرح العقيدة الوسطية صـ ٢٤٦ -٢٤٨ .
(٢) سورة الشورى آيه(١١)
(٣) سورة القيامة آية (٢٣)
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٤/ ٤٥٠
(٥) فتح القدير محمد بن على الشوكانى جـ٥/ ٣٤٠ دار الفكر العربى ،معالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى جـ٤/ ٤٢٤ دار المعرفة بيروت - لبنان ، تفسير النسفى جـ٢/ ٧٥٤
(٦) الملل والنحل للشهر ستانى جـ١ / ١١٢ - ١١٣
(٧) سورة يونس آية (٢٦)

ثالثا : استدلوا بقوله تعالى : **"كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون"**[1]
فيقول الإمام الشافعي– رحمه الله - ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه -عز وجل [2]
واحتج الإمام مالك على رؤية المؤمنين لله تبارك وتعالى - من جهة دليل الخطاب وإلا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص فنراه يقول : " لما حجب " - عز وجل - أعداءه فلم يروه تجلى - جل شأنه لأوليائه حتى رأوه "[3]
رابعا : استدلوا بالأحاديث الصحيحة التى أثبتت رؤية المؤمنين ربهم ومنها .
ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن جرير قال : " كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته "[4]
عن صهيب عن النبى - صلى الله عليه وسلم -قوله : **"للذين أحسنوا الحسنى وزيادة "** قال : إذا دخل أهل الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعداً ؟
قالوا : ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى قال : فيكشف الحجاب ، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه .[5]
وأخرج الإمام الترمذى فى صحيحه أيضاً عن جرير بن عبد الله البجلى قال : كنا جلوسا عند النبى - صلى لله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا"[6]
الرأى الثانى : ذهبت المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة إلى إنكار رؤية المولى - عزّ وجلّ - واستدلوا على ذلك بما يلى :-

---

(1) سورة المطففين آية (١٥)
(2) تفسير ابن كثير جـ٤/٤٨٧
(3) روح المعانى لشهاب الدين محمد الألوسى البغدادى جـ٣٠ / ٧٣ مكتبة دار التراث الإسلامى
(4) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩٧ كتاب التوحيد ٢٤ باب قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره جـ١٣ / ٤١٩
(5) أخرجه الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح ٣٩ كتاب صفة الجنة ١٦ باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالىجـ٤ ٦٨٧
(6) المرجع السابق جـ٤ ٦٨٧

أولاً: قوله تعالى على لسان موسى حينما سأل ربه - عزّ وجلّ - الرؤية فقال له : **"لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى "**[1]

ثانياً : كما استدلوا بقوله - عزّ وجلّ - **"لا تدركه الأبصار"** [2]

ثالثاً : تأولوا آيات الرؤية فأولوا قوله تعالى : **"إلى ربها ناظرة"**[3] بأنها تنتظر ثواب ربها كما تأولوا قوله تعالى : **"كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "**[4]فيقول الإمام الزمخشرى فى تفسيره "هذا تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا الوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم "[5]

رابعاً :- استدلوا بدليل عقلى وهو أن الرؤية توجب كون المرئى محدثاً وحالا فى مكان .

وأجاب الجمهور على هذه الأدلة بما يلى :-

أولاً:- بالنسبة للدليل الأول وهو قوله عز وجل لموسى عليه السلام حينما سأل ربة الرؤية قال : **"لن ترانى "**[6]

فقد أجاب الجمهور على هذه الآية من عدة وجوه .

الوجه الأول : أن موسى عليه السلام لم يسأل ربه المستحيل ، ولو كان مستحيلا لما سأل هذا السؤال .

الوجه الثانى : أن الله لم ينكر على موسى بالسؤال كما أنكر على سيدنا نوح عليه السلام حينما سأل ربه نجاة ابنه ، فأنكر عليه ذلك بقوله تعالى : **"إنى أعظك أن تكون من الجاهلين "**[7]

الوجه الثالث : إن الله - عزّ وجلّ علق الرؤية على شرط وهو استقرار الجبل فى قوله تعالى : **"ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف**

---

(1) سورة الأعراف آية (١٤٣)
(2) سورة الأنعام آيه (١٠٢)
(3) سورة القيامة آية (٢٣)
(4) سورة المطففين آية (١٥)
(5) الكشاف للزمخشرى جـ٤ / ٧٢٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين أبى سعيد بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى جـ٢ /٥٧٨ طـ ١٩٩٩ - دار الكتب العلمية
(6) سورة الأعراف آية (١٤٣)
(7) هود آية (٤٦)

ترانى "[1] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلى فى هـذه الدار فكيف بالبشر الذى خلق من ضعف .

الوجه الرابع :- **"إن الله -عز وجل- كلم موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكليم والتكلم جاز رؤيته "**[2]

أما دليلهم الثاني: وهو قوله **"لا تدركه الأبصار"** فـهذا حجـة عليهم لا لهم لأن الإدراك يختلف عن الرؤية ، فـالإدراك هـو الإحاطـة بالشئ ، وقدر زائد على الرؤية فلما رأى أصحاب موسى - عليه السـلام - قوم فرعون - قالوا **"إنا لمدركون * قال كلا إن معى ربى سيهدين"** [3] فلم ينف موسى عليه السلام - الرؤيـة وإنمـا نفـى الإدراك فالرؤيـة والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالله يُرى ولا يدرك [4]

أما دليلهم الثالث : فهو تأويل : آيات الرؤية فأولوا قوله تعالى **"إلى ربها ناظرة"** أى منتظرة ثواب ربها .

ويرد عليهم بأن حمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابـه ولا يصح لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت ، ونظرته انتظرته ، ولا يعـدى بإلى إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار فى دار القرار [5]

وأما بالنسبة لدليلهم الرابع : أن الرؤية توجب كـون المرئـى محدثا فهذا من قصور التفكير البشرى الذى يقيس الأمور الغيبيـة بمـا ألفه فى دنياه ويقيس إلهه ومعبوده بالمخلوق الضعيف[6] فمـن خـلال هذه الدراسة تبين لنا أن منهج أهل السنة والجماعة فى جـواز رؤيـة المولى عزّ وجلّ فى الآخرة هو أفضل الآراء فقد جاءت أدلتـهم قويـة ومتعاضدة بالمنقول من القرآن والسنة والاجمـاع والمعقـول فرؤيـة المولى- عزّ وجلّ- فى الآخرة لعباده المؤمنين الصالحين أمـر مجمـع عليه من السلف الصالح والخلف وأهل الحديـث والفقـه لا ينكرهـا إلا مكابر جاهل بأحكام الدين والشريعة .

وتبقى مسألة مهمة وهى هل رأى رسول الله- صلى الله عليـه وسلم - ربه ليلة الاسراء والمعراج ؟

انقسم العلماء فى هذه المسألة إلى ثلاثة آراء :-

الرأي الأول: ذهب أهل السنة والجماعة وهو مذهـب السـلف الصالح من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسـلم ومـن تابعـهم

---

[1] سبق تخريج الآية

[2] شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٩٢

[3] سورة الشعراء آية (٦١) (٦٢)

[4] شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٩٣

[5] تفسير النسفى جـ٢ /٧٠٢ ، الكشاف للزمخشرى جـ ٤ /٦٣٢

[6] أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ ٢ / ٤٥٤

والمعراج واستدلوا على ذلك بما أخرجه الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح " أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك ؟ - فقال : نور أنى أراه [1]

وقالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - من حدث أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت قوله تعالى: **"لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير"** [2] ولكنها قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - جبريل مرتين على صورته .[3]

وأخرج الإمام الترمذى أن مسروقاً دخل على عائشة رضى الله عنها فسألها هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد تكلمت بشيء قفَّ له شعري قلت : رويداً . ثم قرأت **"لقد رأى من آيات ربه الكبرى"**[4] قالت أين يذهب بك ؟ إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل ولم يره فى صورته إلا مرتين - مرة عند سدرة المنتهى ومرة فى جياد له ستمائة جناح قد سدَّ الافق [5]

الرأى الثانى: رأى الإمام عبدَ الله بن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين [6]

الرأي الثالث : ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين الروايتين رواية أم المؤمنين عائشة ورواية ابن عباس. فعائشة أنكرت رؤية البصر وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد [7]

والراجح ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها إلى عدم وقوع رؤية المولى عزّ وجلّ فى الحياة الدنيا ، وإنما الرؤية ثبتت للمؤمنين فى الآخرة .

---

(١) أخرجه الامام الترمذى ٤٨ (كتاب تفسير القرآن ٥٤ (باب من سورة النجم جـ ٥/٣٩٦ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن

(٢) سورة الانعام آية (١٠٢)

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ /٢٥٣

(٤) سورة النجم آية (١٨)

(٥) الجامع الصحيح للإمام الترمذى ٤٨ (كتاب التفسير) ٥٤ باب (من سورة النجم جـ ٥ /٣٩٤

(٦) المرجع السابق جـ ٥ / ٣٩٥ - ٣٩٦

(٧) راجع أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة جـ ٢ /٥١٢

الخاتمـــــــــــة:

بعد الدراسة المتواضعة للصفات الخبرية عند علماء العقيدة ثبت لنا ما يلي :-

أولاً:- أن منهج السلف الصالح هو أفضل مناهج علماء العقيدة في إثبات الصفات الخبرية التي أثبتها المولى - عزّ وجلّ- لنفسه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة كالاستواء على العرش والوجه والعين واليد والنزول والمجيء ، فقد آمنوا بهذه الصفات وتوقفوا عن التكييف والتشبيه والتأويل

وقالوا إنما توقفنا عن التأويل لأمرين :

الأمر الأول:- النص القرآني جاء صريحاً بالكف عن التأويل في قوله تعالى **"فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولو الالباب** [1]

الامر الثاني : أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول في صفات الباري بالظن غير جائز فربما أولنا الآية على غير مراد الله فوقعنا في الزيغ [2]

ثانياً:- ذهب علماء الخلف الى القول بتأويل الصفات الخبرية تأويلاً يليق بجلال الله -عزّ وجلّ - وقالوا لو تركنا الآيات على ظاهرها لوقع الجهلاء من الناس في ورطات عقائدية فأولوا الاستواء بالاستيلاء أو الاقتدار كما أولوا الوجه بالذات واليد بالقدرة والعين بالرؤية والنزول بنزول ملك من عنده -سبحانه وتعالى- أو نزول رحمته . والمجيئ بمجيئ أمره .

وهذا المنهج رأيناه عند الاشاعرة والماتريدية والمعتزلة والإمام الغزالي وبه قال جمهور المفسرين كالنسفي والزمخشري والرازي والبيضاوي والألوسي

ثالثاً:- انحرفت بعض الفرق الكلامية كغلاة الشيعة من المشبهة والمجسمة والذين شبهوا صفات المولى - عزّ وجلّ- بصفات المخلوقين وقالوا إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض وأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم

---

[1] سورة آل عمران آية (٧)

[2] الملل والنحل جـ ١ / ١١٧

إن يقولون إلا كذبا فسبحانه وتعالى "**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**"

والراجح ما ذهب إليه السلف الصالح من وجوب الإيمان بالصفات الخبرية بلا تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل . فنؤمن بهذه الصفات ونثبتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه في القرآن والسنة ونفوض حقيقتها لله - عز وجل- ونضع نصب أعيننا قوله تعالى : "**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**"[1]

وقوله تعالى "**سبحان ربك رب العزة عما يصفون ***[2]

---

[1] سورة الشورى آية (١١)

[2] سورة الصافات آية ١٨٠ - ١٨٢

المصادر والمراجع

***

١- إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات للإمام شمس الدين محمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعي ،ط- البيان العربي.
٢- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ط- دار طيبة الرياض .
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي ط- ١٩٩٩،دار الكتب العلمية .
٤- الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ط- ١٩٨٨ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٥- التفسير الكبير للإمام تقي الدين ابن تيمية ط- ١٩٨٨ - دار الكتب العلمية .
٦- الجامع الصحيح للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ط- دار الفكر للطباعة - بيروت ، لبنان .
٧- القاموس المحيط ط- ١٩٨٧ ، دار الريان.
٨- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح العثيمين ط- ١٩٩٩ ، مكتبة العلم .
٩- الكشاف لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري ،ط- دار المعرفة للطباعة والنشر .
١٠- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية ط- ١٩٩٩.
١١- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - المكتبة التوفيقية - الفجالة - القاهرة.
١٢- تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة ،ط- دار الفكر العربي .
١٣- تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ط- ١٩٨١ - دار الفتح العربي .
١٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ط- دار الحديث .
١٥- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط - دار المعرفة .
١٦- روح المعاني لشهاب الدين محمد الألوسي البغدادي - مكتبة دار التراث الإسلامي .
١٧- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي ط-١٩٨٤- المكتب الإسلامي .
١٨- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ط- ١٩٨٨ - المكتب الإسلامي .
١٩- شرح العقيدة الوسطية لمحمد بن صالح العثيمين ، ط- دار الدعوة .

٢٠- صفوة التفاسير لمحمد بن على الصابونى ، طـ دار الصابوني.
٢١- فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ابن حجر العسقلانى .طـ السلفية ، ١٩٧٨ .
٢٢- فتح القدير لمحمد بن على الشوكانى ، طـ دار الفكر العربى .
٢٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، طـ دار الكتب العلمية .
٢٤- معالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى ، طـ ١٩٨٧ - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
٢٥- لسان العرب لجمال الدين ابن منظور ، طـ دار الفكر العربى.